



بعد فشل الأسد في إقناع العالم بضرورة استمراره في الحكم على رأس النظام في سوريا، وتصاعد الثورة بشكل يقترب من انفلات زمام الأمور من يد الأسد وعصابته، لجأ الأسد إلى تنفيذ الفقرة الأخيرة من الوثيقة الأمنية التي وضعتها اللجنة الأمنية في بداية الثورة في شهر أبريل 2011م، وهي "تخير الشعب السوري بين الأمان مع النظام أو الخراب مع الحرية، وبنفس الوقت "تخير العالم ما بين نظام الأسد وإرهاب القاعدة".

مستغلة خطاب رئيس تنظيم القاعدة في أغسطس الماضي لثوار الشام، الذي اعتبرته عصابات الأسد بمثابة المقدمة لهذه الخطوة وكانت تنتظره منذ بداية انطلاق التظاهرات.

وفعلاً تم البناء على هذا الخطاب لل مباشرة بهذه المرحلة، وبدأ التطبيق العملي مع بداية تنفيذ خطة عنان، وكان الهدف الرئيس من وراء هذا التوقيت إقناع العالم من خلال مشاهدات المراقبين الدوليين لتفجيرات مشابهة لتفجيرات القاعدة، بأن سوريا ماضية نحو الإرهاب في حال استمر المجتمع الدولي في دعم مطالب الشعب التأثر.

لكن الحقيقة والتي يعلمها الأسد قبل العالم أن لا وجود للفكر القاعدي في سوريا، وهذا يثبته الأسد بنفسه منذ أمد بعيد حين صرخ في مقابلة مع أسوشيتد برس نشرت يوم الأحد 25 أيار / مايو 2003 بأنه يشكك في وجود "القاعدة"، المجموعة الإرهابية المسئولة عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، والضربات الأخيرة التي نفذتها في كل من المملكة العربية السعودية والمغرب..

ويقول بأن: وجود القاعدة أمر "غير منطقي"، ويتساءل:

"هل هناك فعلاً كيان يسمى القاعدة؟"

"هل كان في أفغانستان؟"

"هل القاعدة موجودة الآن؟"

وقال أيضاً بأن أسامة بن لادن، الإسلامي المتطرف المولود في السعودية، والذي يقوم بقيادة القاعدة "لا يستطيع التحدث على الهاتف أو استخدام الإنترنت، ولكنه يستطيع إدارة الاتصالات في جهات العالم الأربع، إن هذا الأمر غير منطقي.." .

إذن هو يعلم أن وجود التنظيم في العالم غير منطقي، وأن فكره موجود نتيجة الظلم الممارس من قبل الدول التي تضطهد الشعوب فقط.

وبالتالي استطاع الأسد استغلال هذا الفكر في إنشاء تنظيم داخل أجهزته الأمنية وخاصة فرع المخابرات الجوية، للعمل على تسويق الجانب المكمل لهذا الفكر في العالم، لاستغلاله في تحقيق مكاسب سياسية من خلال اللعب بنفس الأداة التي يرغب الغرب تسويقها، وظهر هذا الاستغلال في تفجيرات لبنان بداية ومن ثم اغتيال الشهيد رفيق الحريري وما تبعه من اغتيالات. ومن ثم تطور العمل التنظيمي الإرهابي في سوريا عندما بدأت سوريا بتنظيم الكوادر وإرسالها إلى العراق ولبنان مستغلًا بعض البنى الهشة للتنظيمات الفلسطينية (فتح الإسلام).

وطبعًاً كان هذا التنظيم أداة جيدة للتعامل مع القوى الأساسية اللاعبة في المنطقة وخاصة أمريكا، وهذا ما ثبته أحد وثائق ويكيبيديك في 11/ ديسمبر/ 2010م، والتي كانت عصابات الأسد تستجدي التعاون الاستخباري مع الأمريكية بغية فك الحصار السياسي والاقتصادي العالمي على سوريا بعد جريمة اغتيال الشهيد(1) رفيق الحريري حيث ورد فيها أن: "على البلدين مواصلة العمل للتعاون على التهديدات الماثلة أمام كل من الولايات المتحدة وسوريا، وبينها انتشار الجماعات التكفيرية في المنطقة، مثل تنظيم القاعدة، ووقف تسلل المقاتلين الأجانب إلى العراق".

وقال مدير إدارة الاستخبارات السورية: إن بلاده كانت أنجح من الولايات المتحدة والدول الأخرى في المنطقة في مجال مكافحة التنظيمات الإرهابية؛ لأننا كنا عمليين لا نظريين، في اختراق الجماعات.

وأرجع نجاح سوريا في ذلك لقدرتها على التغلغل داخل تلك الجماعات، وقال: "من حيث المبدأ نحن لم نهاجمهم أو نقم بقتلهم على الفور، نحن نقوم باختراقهم ونقوم بالتحرك في الوقت المناسب".

ووصف الملوك عملية اختراق الجماعات "الإرهابية" وزرع عمالء داخلها بأنها معقدة، واعترف مدير المخابرات السورية - حسب البرقية الأمريكية - بأن عدداً من "الإرهابيين" يواصلون التسلل إلى العراق من سوريا؛ وأن بلاده تواصل التصدي لذلك بكل الوسائل؛ لكن إذا تعاوناً سوياً ستحقق نتائج أفضل وسندافع عن مصالحنا المشتركة بشكل أفضل.

وقال: إن تجربة التعاون السابقة بين بلاده والاستخبارات الأمريكية لم تكن تبعث على السرور، وأعرب عن أمله بأن يتم بناء التعاون في المستقبل على "أسس متساوية"، بمعنى أن يتاح لسوريا تصدر مساعي مكافحة الإرهاب. وهذا ما كانت تهدف إليه سوريا من وراء إيجاد هذا التنظيم الإرهابي.

فمن خلال تلك الوثيقة نلاحظ أن عصابات الأسد كانت دائمًا تمتلك زمام المبادرة في إيجاد إرهابي في المنطقة. لكنها فشلت في تسويق الفكر القاعدي داخل سوريا، وتحاول جاهدة استغلال التنظيم الذي أوجده في تطبيق خطتها، وهي تستطيع تطبيق الشق المتعلق بالتنظيم، لكنها لا تستطيع تسويق الجانب المتعلق بالفكر القاعدي، لذلك تجد عملياتها لا يوجد من يتبعها، وإن ظهر من يتبعها فهو لا ينتمي إلى الفكر القاعدي.

أيضاً الإخراج الإعلامي للعمليات الإرهابية كان فاشلاً بمعنى الكلمة، فالكل رأى الجثث المربوطة والموثوقة في مكان انفجار دمشق، والكل شاهد إحدى الجثث وهي باللباس الداخلي؛ وكيف كان يتم إلقاء جثث الشهداء التي اختطفها الأمن من ساحات التظاهر في موقع التفجير، والكل رأى جثة سائق السيارة المفخخة في حلب وكيف أنها لم تنفجر بحزام ناسف كما ادعى النظام.... الخ.

فالنظام فشل إعلامياً في تسويق فكرة وجود القاعدة في سوريا، لكن الجميع يعلم أن فكر القاعدة موجود في العالم، لكنه بدون تنظيم، وإنما هو عبارة عن مجموعات جهادية في الدول التي تعاني من الاضطهاد والاستبداد وغياب مقومات الدولة، وأن بعض الحكومات الاستبدادية تحاول استغلال الفكر القاعدي في إيجاد تنظيمات إرهابية تحقق لها مصالحها. أما في سوريا فهناك تنظيم إرهابي لكنه بدون فكر قاعدي لأنه موجود أساساً ضمن تكوين أجهزة الأمن الأسدية.

وبالتالي إن كان العالم صادقاً في التخلص من التنظيمات الإرهابية عليه أولاً التخلص من النظام الاستبدادي المؤسس له والذي يعيث فساداً في البلاد والعباد.

(1) الأصل التوقف في إطلاق لفظ الشهيد على أشخاص بأعيانهم، وإنما يطلق على أعمالهم، لأن يقال: من قتل دون نفسه فهو شهيد، أو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو من الشهداء، وأما عند التعيين، فالأولى الترك، أو القول: نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا. (نور سورية).

المصادر: